سيمياء الحواس في القرآن الكريم

أ.د جنان منصور كاظم الجبوري

م. م عبد السلام حميد حسن الرفاعي

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء

ملخص البحث

قامت هذه الدراسة على فكرة أساسية وهي: أن التواصل الإنساني لا يتوقف عند حدود الكلمات المنطوقة، بل يتعدى ذلك ليشمل حركات الجسم وأعضائه، كالوجه، واليد العين، والسمع ، واللمس والتذوق والإحساس والهيئة العامة.

فحركات الإنسان المتمثلة بالتقطيب والتجهم والتبسم، وحركات الجوارح كلها تمثل أدوات مساعدة توصل المعاني للآخرين وتؤثر فيهم بشكل كبير.

ولعل أهميتها تكمن أيضا في قدرتها على ترجمة ما يدور في خلجات النفس، وإظهاره على أعضاء الجسم الخارجية, دونما سيطرة من الإنسان عليها في كثير من الأحيان، فهي بذلك تشكل عاملا مهما في عملية التواصل البشري.

وتهدف هذه الدراسة إلى إظهار سيمياء الحواس في القرآن الكريم من خلال عرض الآيات التي تشير إلى وظائف الحواس لإظهار قصديتها الدلالية التواصلية اللفظية أو غير اللفظية، التي تعبّر عن وعي أو غير وعي.

وتبحث هذه الدراسة في كيفية إستخدام الحواس في القرآن الكريم بصورة رمزية، إذ تعتبر الحواس نوافد العقل على العالم الخارجي المحسوس، الذي يمثل له ميدان تأمل وتفكير وادراك للمعاني المجردة. فنتستعرض ونحلل الأدلة القرآنية التي تثبت أن القرآن الكريم تحدّث عن هذا الموضوع، وتناوله بشيء من التأصيل والعمق، وهذا هو شأن القرآن الكريم، النبع الصافي لكل العلوم، والذي ينبغي علينا الرجوع إليه دائما لننهل من معينه.

ومن أهم نتائج هذه الدراسة: أن القرآن الكريم وظّف الحواس في آياته المباركة بمعنى (سيميائي) وجعل العلامة وسيلة من الوسائل الإبلاغية عبر المنظومة القصدية للتواصل، في تقنية إجرائية عالية، يمكننا من خلالها فهم التفاعلات الإنسانية وتفسير النصوص. وقد تضمن مبحثين كان الأول منها : التعريف بمصطلحات البحث وضم الثاني سيميائية حواس الإنسان في القرآن الكريم بين التنظير والتطبيق .

Research Summary:

This study built on the basic idea is that the human communication does not stop at borders Spoken words, but goes beyond that to include the movements of the body and its members, such as the face, hand and eye, hearing, touch, taste and sensation .

Public Authority, So movements of Baltkotaib and frown and smile and movements of prey whole , Help represent meanings to others tools and affect them dramatically. Perhaps the importance also lies In its ability to translate what is going on in the longing soul, and show it on the external parts of the body, Without the control of the human them often. It is thus an important factor in the process Human communication.

ThisstudyaimstoshowSemioticssensesintheKoranthroughthepresentation oftheversesthatreferto thefunctionsofthesensestoshowQsdetyhaRemember communicative verbal or non-verbal that reflect consciously or unconsciously, and this study looking at how to use the senses in the Qur'an symbolically, as is the five senses windows of the mind to the outside world perceived that represents a field of reflection and thinking and grasp of abstract meanings.

Ventstard and analyze Quranic evidence that the Qur'an spoke about this topic, and eat something and rooting depth. Hmaho and the Qur'an, is source for all the sciences, and we should always refer to drink from certain.

Among the most important results of this study the Koran hired senses in the verses of the blessed in the sense (Semiaia) And make a mark and the way of reporting obligations across the system intentionality means of communication in a high procedural technique by which we can understand and interpret human interactions Nasos.oukd included two sections was the first of them: definition of search terms included second semiotic human senses in the Koran between theory and application.

التعريف بمصطلحات البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر المنتجبين الى يوم الدين .

قبل الدخول في تحليل بعض من آيات الله الدالة على سيميائية حواس الإنسان في القرآن الكريم لابد لنا من التعريف ببعض مصطلحات البحث .

أولا :السيمياء في اللغة

السِّيمَاء والسِّيمِيَاء ، بياء زائدة: لفظان مترادفان لمعنى واحد. وقد ورد ذلك في كتاب الله ، لكن مقصوراً غير ممدود، أي بلا همز، هكذا: (سِيمَا). قال تعالى: {سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ} (الفتح: ٢٩). وقال سبحانه: {تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ} (البقرة: ٢٧٣).

والسِّيمَاءُ في معاجم اللغة: هي العلامة، أو الرمز الدال على معنى مقصود؛ لربط تواصلٍ ما . فهي إرسالية إشارية للتخاطب بين جهتين أو أكثر، فلا صدفة فيها ولا اعتباط .

والسُّومة والسيمة والسيماء والسيمياء : العلامة، والخيل المسوَّمة: هي التي عليها السمة[١]

ثانيا: السيمياء في الإصطلاح

يرى بعض العلماء أن لفظ السيمياء هو أحد المعربات الثلاثة السيمولوجيا والسيولتيك والسيميائية للفظ يوناني هو (السيميو طيقا) من كلمة (السيميولوجيا) وتعني العلامة ويعرفه بأنه :»

علم يدرس العلامة ومنظوماتها (أي اللغات الطبيعية والاصطناعية) كما يدرس الخصائص التي تمتاز بها علاقة العلامة بمدلولاتها «(٢). أي تدرس علاقات العلامات والقواعد التي تربطها أيضاً.

ثالثا: السيمياء في القرآن الكريم

لقد ذكر مصطلح (السيمياء) في القرآن الكريم بأيات عديدة ومختلفة أغلبها بمعنى العلامة إذ قال تعالى : « سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ « (الفتح٢٩) ، فقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس (رضي الله عنهما): سيماهم في وجوههم يعني السمت الحسن. وقال مجاهد وغير واحد: يعني الخشوع والتواضع ، وقال ابن أبي حاتم: .... عن

مجاهد «سيماهم في وجوههم من أثر السجود» قال الخشوع قلت: ما كنت أراه إلا هذا الأثر في الوجه.. وقيل ان السمة هي العلامة التي يحدثها السجود في الجبهة [٣] . وقال تعالى في موضع آخر : « لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ»(الذاريات ٣٣-٣٤). فيه وجوه:

- أحدها : مكتوب على كل واحدة اسم واحد يقتل بها.
- وثانيها : أنها خلقت باسمهم ولتعذيبهم، بخلاف سائر الأحجار فإنها مخلوقة للانتفاع في الأبنية وغيرها.
- وثالثها : مرسلة للمجرمين لأن الإرسال يقال في السوائم يقال أرسلها لترعى فيجوز أن يقول سومها بمعنى أرسلها وعلمها أي جعل فيها (علامة) فقيل في تفسير (مسومة) فيها علامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا.

وكذلك يفسر قوله تعالى : « زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ «(١٤ آل عمران) ، إشارة إلى الاستغناء عنها وأنها ليست للركوب ليكون أدل على الغنى ، فالخيل المسومة هي التي فيها سمة والسمة هي العلامة المميزة.

وكذلك قوله تعالى: « يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ « (١٢٥ آل عمران)، فلو تأملنا لفظة السمة ومشتقاتها في القرآن الكريم نجد أنها تدل على العلامات والإشارات وهذه العلامات قد تكون إجتماعية أو أدبية أو جسدية ، والسيمياء في اللغة أوسع من اللغة، إذ ان اللغة جزء من السيمياء ، فأشار دي سوسير الى أن للأخرس لغة وأن لم ينطق بها[٤].

وقد أشار الجاحظ إلى ذلك في وقت مبكر، حيث أشار الى أن السيمياء أوسع من اللغة، واللغة فرع منها فهو صحيح فقال :»وجميع أصناف الدلالت على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ، ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحالة التي تسمى النصبة «[٥] ، والإشارة التي ذكرها الجاحظ هي دلالة على العلامة، والعلامة دلالة على السيمياء فلو عدنا الى الإشارة لوجدناها باليد، والعين، والحاجب، والمنكب ، والسيف ، والعلم... وغير ذلك من الإشارات الدالة [٦].

رابعا: سيميائية حواس الإنسان في القرآن الكريم

لا يقدر أيُّ مذهب فلسفي أو فكري إنكارَ دَوْر الحواس في العمليات المعرفيَّة، غَيْرَ أنَّ الخلاف قائم حول القيمة المعرفية، ودورها في مراحل الإدراك، فالبحثُ في الحواس من أهمِّ فصول نظرية المعرفة.

فالحواس هي أبواب المعرفة الأولى، والحس أوَّل مراتب الإدراك؛ لذا جعل الله – تعالى – مَن عُطِّلت حواسه وقلبه في حكم الميت، ومَن لم يستجب للحق في حكم البهيمة، له من حواسه وقلبه لإدراك العام مما يستعينُ به على دُنياه، دون أن يصلَ إلى الرُّشد والهداية الخاصَّة، والفهم الخالص، غَيْرَ أنَّ الاقتصار على الحس كطريق وحيد للمعرفة لم يرد قطُّ في القرآن، بل الحس مجموع دائمًا مع القلب والفُؤاد – أي: العقل – لأن الغاية من الإدراك الحسي ليس التحسس؛ بل فهم المحسوس، وأجمعَ أكثرُ أهل التحقيق على أنَّ النفس هي المدركة، والحواس نواقل للمعلومات؛ لذا كان قطع المعارف عن أيِّ إنسان بقطع حاسَّتين ومركز التعقُّل كما أوضحت الآية القرآنية مصداقية هذا القول من قبل: « خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ « (البقرة: ٧) ، وفسر القلب بأنه مركز للتعقل والتخيل المتوقع صحته وهو نوع من النعم التي أنعم الله بها على الإنسان [٧].

المبحث الثاني : سيمياء الحواس في القرآن الكريم(في التطبيق)

لقد ذكر القرآن الكريم حواس الإنسان في مواضع عديدة بين مختلف الآيات التي تدل على السمع, والبصر، واللمس ، والذوق، والشم ، ونجد أن القرآن لا يعرض الحواس الخمس فقط بل هناك إشارة الى الحاسة السادسة والإدراك أو ما يسمى بالحدس أو العقل ، فهم عقلوا كل الأفعال بالدماغ وكذلك الإحساس، وهناك آيات فيها سيميائية عالية تدل على نفسية الإنسان المختبئ وراء إدراكه العالي بالحب والرضا والغضب والكره (٨).

ولو تأملنا المشاهد التي تذكر حواس الإنسان في القرآن الكريم لوجدنا في إستخدام هذه الحواس سيميائية واضحة للتعبير عن مكنونات عديدة أراد الله الإشارة إليها عبر مضامين الآيات فهناك آيات تشير الى فاعلية الحواس وفي بعض الأحيان تدل عل تراسلها في وصف المشاهدة القرآنية التي تدل على الحب ، والكره ، واللذة ، والقبح ،والنعومة، والخشونة ، والخوف، والقلق وهي في مجملها صور سيميائية نفسية تحمل إيحائية عالية سنفصلها كلا في موضعه .

حاسة البصر

عرض القرآن الكريم صور حسية بصرية متعددة في حالات مختلفة فنلاحظ حركة العين وسكونها واستغرابها، فنجد فيها سيميائية عالية في حاسة البصر الدالة على الخوف المرتقب في العين وكذلك نظرات الرضا والحب فلو تأملنا الآيات القرآنية التي تخص البصر لوجدنا حركة صراع بصرية عالية الدقة ففي قوله تعالى: « الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ، ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ» (سورة الملك ٣-٤).

قد يفهم بعض الناس أن معناها مرتين, أي مثنى كرة، وواقعا, إن معناها ليس كذلك, فالآية تدعو الإنسان إلى أن يتأمل تأملا متكررا, وليس المقصود كرتين اثنتين.

وقال العلامة الطباطبائي في تفسير قوله :» ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ « أريد به الرجوع كرة بعد كرة و إن بلغ من الكثرة ما بلغ.» وقال أيضا :

«و قوله: «كرتين» الكرة الرجعة و المراد بالتثنية التكثير والتكرير، والمعنى: ثم ارجع البصر رجعة بعد رجعة أي رجعات كثيرة ينقلب إليك البصر منقبضة مهينة والحال أنه كليل متعب لم يجد فطورا.

وقال الزمخشري في الكشاف : كرّتين اثنتين؟ قلت : معنى التثنية التكرير بكثرة ، كقولك: لبيك وسعديك ، تريد إجابات كثيرة بعضها في أثر بعض، فإن قلت : فما معنى ثم ارجع؟ قلت : أمره برجع البصر ، ثم أمره بأن لا يقتنع بالرجعة الأولى وبالنظرة الحمقاء ، وأن يتوقف بعدها ويجم بصره ، ثم يعاود ويعاود ، إلى أن يحسر بصره من طول المعاودة ، فإنه لا يعثر على شيء من فطور .» وذكر الرازي في مفاتيح الغيب تفسيرا مشابها لهذا [٩].

إذن ما يمكننا الإستدلال عليه من هذه البنية اللغوية هو الإشارة الى إستعمال البصر في القرآن في مواضع التدليل على قدرة الله ولصنعه العجيب يستعمل بصر وليس نظر؛ لان البصر إشارة الى البصيرة وهذه البصيرة تدعو الى التدبر في خلق الله الذي لا يحتمل (الفطور) والفطور يعني الخلل والشق والصدع فالعلامة اللغوية التي تكمن في تدبر البصر والتأمل في مظاهر الكون والسماء ووحدانية الخالق التي دل عليه تكامل البناء الكوني الذي لولا البناء العقلي السليم لما توصلنا إليه.

ولو تأملنا قوله تعالى: «وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ» (الأنبياء ٩٧).

وهنا نقف عند لفظة(شاخصة) صفة البصر ، أما من ناحية المعنى ف(شَخَصَ): فتح

عينه وجعل لا يطْرف . والسؤال هو لماذا قدّم الشخوص على الأبصار-----؟ أي لماذا لم يقل مثلا «فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة فالتقديم والتأخير في القرآن الكريم مرتبط بأهمية الحدث ، والحدث الأهم والذي يريد القرآن أن يبرزه يكون موضعه التقديم فقال تعالى: { فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا } إلى آخره. والشخوص: إحداد البصر دون تحرك كما يقع للمبهوت.

دون غيره ، والمراد هنا تبيان الحال وهو الشخوص للدلالة على عظم الوقع يومها فبيّن الشخوص قبل الأبصار لأن حال الأبصار أنها شاخصة .

ولما قَدَّمَ الإمعان كان أشد في البيان . ففي هذا اليوم ياتي الظالمون شاخصة ابصارهم ترهقهم ذلة لا تتحرك اعينهم من شدة الخوف و الهلع فالشخوص كناية عن الابصار [١٠]

حاسة السمع

الأُذُن: هي العضو الحسي الذي يُمكّننا من السمع، والذي هو أحد أهم الحواس.

ومن فوائد السمع أنه يحذرنا من الأخطار كسماعنا صوت تحذير بوق السيارة أو صفارة القطار، وحتى أثناء النوم قد نسمع جهاز التحذير من الحريق، أو نباح كلب الحراسة، كذلك يمنحنا السمع المتعة عند تغريد الطيور، وأصوات الأمواج التي تتكسر على الشاطئ.

فكل شيء يتحرك يحدث صوتًا، والصوت يتكون من اهتزازات لجزيئات الهواء التي تنتقل في موجات، ثم تدخل هذه الموجات إلى الأذن، حيث تتحول إلى إشارات عصبية تُرسل إلى الدماغ الذي يقوم بدوره بترجمة هذه الموجات إلى أصوات.

يعرض الله حاسة السمع في مشاهد عديدة تدل على إشارات مختلفة وللصوت دور نفسي كبير في وصف الحالة التي يعيشها الإنسان .

إذ يتضمن السمع ثلاث درجات معروفة في علم وظائف الأعضاء، وهي مذكورة في كتاب الله تعالى، فأولها: الإحساس بالصوت دون فهم، وذلك مثل الطفل الوليد الذي لا يفقه معنى الكلام وهو يحس بالصوت لكنه لا يفقه معناه، أو كالدواب السارحة التي إذا نعق بها راعيها، أي دعاها إلى ما يرشدها فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه، فلا تفهم ما يقول، بل إنما تسمع صوته فقط، وهذا مذكور في قول الله تعالى: «وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء «(البقرة: ١٧١).

والثاني: هو الإحساس بالصوت مع الفهم وذلك في قوله تعالى: «وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ «(البقرة: ٧٥).

والثالث: هو الإحساس بالصوت مع الفهم بالإضافة إلى الاقتناع والإيمان والطاعة،

وهي أعلى درجات السمع التي تُمنح للمؤمنين كما في قوله تعالى:» إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ» (الأنعام: ٣٦).

هذه المعاني الثلاثة تتوافق مع ما هو معروف في علم وظائف الأعضاء من الإحساس بالصوت، والتمييز، والفهم والوظائف العليا الأخرى للمخ التي تتضمن العواطف والإرادة والتصرفات(١٠).

والقرآن العزيز فرّق بين السماع والاستماع والإصغاء والإنصات بطريقة بليغة ودقيقة ومناسبة للموقف:

فالسمع يكون بقصد ومن دون قصد، ومثاله في كتاب الله العزيز قوله تعالى: «وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ «(القصص: ٥٥).

والاستماع يكون بقصد من أجل الاستفادة، قال الله تعالى:» وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ «(الأحقاف: ٢٩).

والإصغاء: حيث التركيز وتفاعل القلب والمشاعر، قال تعالى:» إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا» (التحريم: ٤).

والإنصات هو ترك الأشغال والسكوت والتفرغ للاستماع، قال تعالى :»وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ «(الأعراف: ٢٠٤).

وقد ذكر في القرآن أن السمع في الآخرة هو من وسائل التنعيم والتكريم للمؤمنين وأن الحرمان منه من أنواع العذاب المعدة للكافرين(١١). فلما كان المؤمن هو المستفيد بسمعه في الدنيا وهبه الله أفضل السماع بالآخرة، فقال تعالى: « لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً * إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً» (الواقعة: ٢٥-٢٦).

ولما عطّل الكافرُ سَمَعَه بالدنيا حرمه الله السمع في الآخرة، قال تعالى: «لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ» (الأنبياء: ١٠٠).

فهناك الصوت القبيح أو الجميل وهو لغة سيميائية فقبح الصوت اشارة وسمة بارزة كما في قوله تعالى: « وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ» (سورة لقمان ١٩).

حاسة الشم

وصف القرآن الكريم صور كثيرة بهذا الخصوص، ولعل حاسة الشم أسبق الطرق للحس عند الإنسان؛ لأنه بها يعرف طعامه وشرابه.

ولعل من أجمل الأمثلة هو ما ذكر في القران الكريم عن حاسة نبي الله يعقوب في شمه لريح يوسف وعلى بعد المسافات، وان كان يشوبها نوع من الاعجاز النبوي، حيث إن هذا

المشـهد يطبـع في النفس إحساسـاً خاصاً تعجز الكلمات عـن التعبير عنه..

ففـي قولـه تعالـى: (وَلَمَّـا فَصَلَتِ الْعِيـرُ قَالَ أَبُوهُـمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُـفَ لَـوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ * قَالُـواْ تَـاللّهِ إِنَّـكَ لَفِـي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ)(يوسـف:٩٤-٩٥) ، يا ترى ما سـر تلـك الريح؟ وأين فصلـت العيـر؟ قالوا (فصلـت) أي خرجت من حدود مصر ودخلت في حدود الشـام، عندها قال يعقـوب عليـه السـلام للحاضرين مـن أهله وأبنـاء بنيه: (إني لأجد ريح يوسـف)، قـال الرازي فـي ذلـك : إنه تعالى أوصل تلك الرائحة إليه على سـبيل إظهـار المعجزات؛ لأن وصول الرائحة إليـه مـن هـذه المسـافة البعيـدة أمر مناقض للعـادة، فيكون معجـزة، ولا بد مـن كونها معجزة لأحدهمـا، والأقـرب أنهـا ليعقـوب عليـه السـلام، حين أخبـر عنه ونسـبوه في هذا الـكلام إلى مـا لا ينبغـي، فظهـر أن الأمـر كمـا ذكر فـكان معجزة له ثم قـال: «ومعنى: لأجد ريح يوسـف أشـم، وعبـر عنـه بالوجـود لأنه وجدان له بحاسـة الشـم، وقوله: «لَـوْلاَ أَن تُفَنِّـدُونِ» قال أبو بكـر ابـن الأنبـاري: أفنـد الرجـل إذا حزن وتغيـر عقله، وفند إذا جهل ونسـب ذلـك إليه، وعن الأصمعـي إذا كثـر كلام الرجـل مـن خـرف فهو المفنـد، قال صاحب «الكشـاف»: يقال شـيخ مفنـد ولا يقـال عجـوز مفنـدة، لأنها لم يكن في شـبيبتها ذات رأي حتى تفند فـي كبرها فقوله: «لَـوْلاَ أَن تُفَنِّـدُونِ» أي: لولا أن تنسـبوني إلى الخرف».[١٢]

فالقـرآن يصـف الشـم المتمثـل بريح يوسـف بلغة سـيميائية يفهم منها الأحسـاس بوجود يوسـف فـي مكان بعيد إنها لغة سـيميائية عاليـة وكبيرة يفهم منها دال ومدلـول وفهم وافهام، ففـي قولـه تعالـى: «وَلَمَّا فَصَلَـتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُـمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُـفَ لَـوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ * قَالُـواْ تَـاللّهِ إِنَّـكَ لَفِـي ضَلاَلِكَ الْقَدِيـمِ * فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِـيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَـدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَـمْ أَقُـل لَّكُـمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْـتَغْفِرْ لَنَـا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَـوْفَ أَسْـتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»(سـورة يوسـف ٩٤).

حاسة الذوق

ان احساسـات الـذوق لـدى الإنسـان لا تتعـدى أربعـة على الأغلـب: (الملوحـة والحلاوة والحموضـة، والمـرارة)، ولقـد نبـه القـرآن الكريـم على الطعوم وتذوقها وتراسـل حاسـة الشـم والـذوق فيقـال الطعـم تبـع للرائحـة خبيثها لخبيثهـا وطيبهـا لطيبها[١٣].

فـإن قـال قائـل : وكيـف قيل وهو يهـان بالعذاب الذي ذكـره الله ، ويذل بالعتل إلى سـواء الجحيم : كما في قوله تعالى :» خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيـمِ ذُقْ إِنَّـكَ أَنـتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيـمُ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ «(سـورة الدخان ٤٧-٥٠).

فهـذا التـذوق تـذوق اعتبـاري في وصف الـذل والهوان في يـوم القيامة ، تنكيـلا بما كنت

تزعم بأنك أنت العزيز الكريم ، وإنك أنت الذليل المهين ، فأين الذي كنت تقول وتدعي من العز والكرم ؟ هلا تمتنع من العذاب بعزتك . وقوله تعالى : (إِنَّ هَٰذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ) فيقال له : إن هذا العذاب الذي تعذب به اليوم ، هو العذاب الذي كنتم في الدنيا تشكون ، فتختصمون فيه، ولا توقنون به فقد لقيتموه ، فذوقوه [١٤].

حاسة اللمس

هناك صور تدل على حاسة اللمس في القرآن الكريم، ومن هذه الصور اللمسية صور سيميائية نفسية تحمل ايحائية عالية قال تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا «(سورة النساء ٥٦).

يخبرالله تعالى عما يعاقب به الكافر في نار جهنم جزاءً عن كفره بآيات الله وصده عن رسله ، فقال : (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) الآية ، أي ندخلهم نارا دخولا يحيط بجميع أجرامهم ، وأجزائهم . ثم أخبر عن دوام عقوبتهم ونكالهم ، فقال : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) قال : الأعمش ، عن ابن عمر إذا أحرقت جلودهم بدلوا جلودا بيضا أمثال القراطيس . رواه ابن أبي حاتم [١٥].

وقال يحيى بن يزيد الحضرمي إنه بلغه في قول الله : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) قال : يجعل للكافر مائة جلد ، بين كل جلدين لون من العذاب .

لأن أعصاب الحس نهاياتها غزيرة في سطح الجلد فإذا احترق الجلد توقف الألم، إذاً لابد من تبديل الجلد حتى يستمر الألم وفي هذا إعجاز علمي قرآني ونجد في لفظة النضوج علامة سيميائية تدل على شدة الإحتراق في نار جهنم [١٦].

ان الحواس من النعم التي انعم الله بها على الانسان ، وميزه بها عن الحيوان فجعلها سبحانه وتعالى وسائل يتمكن بها الانسان من معرفة خالقه ، فيستدل بها على وجوده ، وقدرته ، وعظمته، ويستمتع بها في حياته ، وما يتعلق بآخرته ، لذا فان القرآن الكريم كثيراً ما يستعمل تلك الحواس لتحقيق هذه الغاية ، فهي بهذا وسائل للمعرفة[١٧] .

ذكر القرآن الكريم الحواس الخمسة جميعها ، (السمع ، والبصر ، والذوق ، واللمس ، والشم) على تفاوت في القدر الذي استعمله من كل واحدة منها ، فقد دار اكثر ما فيه على الحواس الاربع الأولى ، اذ عليها مدار التكليف ، فليس الشم نظيراً لها في الاهمية ، وان كان نافعاً ، بدليل قلة وروده في القرآن الكريم ، وذلك في سياق دنيوي ، وفي سياق اخروي احتمالاً لا قطعاً.

حاسة الإدراك

منح الله عباده الحواسَّ؛ لينتفعوا بها على قدر ما مَنَحَهم من قدرة ومجال يدركون فيه، وهو مُشترك بين جميع المكلفين، ثُمَّ يقوى من فرد لآخر ومن حاسة لأخرى، غير أنَّ الطاقة البشرية لا تقتصر على الحسّ دون غيره طريقًا للمعرفة(١٨)؛ لأنَّ ذلك يدخل في مزالق عدة، فالله – تعالى – أثبت الحجية على عباده بأنْ مَنَحَهم ثلاثَ طرق وأدوات للمعرفة (السمع ، والبصر، والفؤاد) فقال تعالى : « وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ «(النحل: ٧٨).

وكذلك قوله تعالى: « إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا»(الإسراء: ٣٦).

فالسمع أهم وسيلة من وسائل التعلم والإدراك، قال الله تعالى: «وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (النحل: ٧٨).

فالحواس هي الوظائف الموجودة في الجسم من إبصار وسمع وذوق وشم ولمس، والتي يتعرف المرء عن طريقها بما يجري حوله من أمور، وقال بعض الباحثين إن الإحساس بالحقيقة خارج إطار الحواس الخمس لا يحدث بطريقة خارقة، وأنه إنما يأتي نتيجة قيام الدماغ باختزان معلومات عديدة ومتنوعة عن الموضوع ذاته في أوقات وأزمنة مختلفة، وقال آخرون إن الحاسة السادسة هي القدرة على التوقع أو الشعور أو ما وراء النفس، وأنها تختلف من فرد لفرد، وأنها زائدة على الحواس الخمس، ويسميها البعض فراسة(١٩) .

ولو عدنا الى القرآن الكريم لوجدنا ذلك في قوله تعالى :" وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا» (سورة يوسف٢١).

وهذا يعني أن تعتني بالمكان الذي سيقيم فيه، وبطبيعة الحال فهذا القول يقتضي أن تعتني بالولد نفسه؛ على رجاء أن ينتفع به الرجل وزوجته. ولرب سائل يقول: كيف ينتفع به الرجل: وهو عزيز مصر، والكل في خدمته؟ .

ونقول: إن النفع المقصود هنا هو النفع الموصول بعاطفة من ينفع؛ وهو غير نفع الموظفين العاملين تحت قيادة وامرأة عزيز مصر، فعندما ينشأ يوسف كابن للرجل وزوجه؛ وكإنسان تربى في بيت الرجل؛ هنا ستختلف المسألة، ويكون النفع محملاً بالعاطفة التي قال عنها الرجل:

أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا . فخبر تعالى بألطافه بيوسف عليه السلام، أنه قيض له الذي اشتراه من مصر، حتى اعتنى به وأكرمه، وأوصى أهله به وتوسم فيه الخير والصلاح، فقال لامرأته: « أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا» ، وكان الذي اشتراه من مصر عزيزها وهو الوزير بها، عن ابن عباس: وكان اسمه قطفير وكان على خزائن مصر، وكان الملك يومئذ

الريـان بـن الوليـد رجـل مـن العماليق، قال: واسـم امرأتـه راعيل ، وقـال غيره: اسـمها زليخا ، وقـال عبـد الله بـن مسـعود: إن مـن أفـرس الناس : عزيز مصـر حين قـال لامرأته:(أكرمي مثـواه)(٢٠) ففـي هـذا القول سـيمياء دلت على استشـعار عزيز مصر لمكانة يوسـف وقوة شـخصيته فهو قد توسـم فيه الخير والصلاح دون أن يعرفه مسـبقاً.

وإبنـة شـعيب كمـا وصفهـا الله بقولـه تعالـى :» فَسَـقَىٰ لَهُمَـا ثُـمَّ تَوَلَّىٰ إِلَـى الظِّـلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّـي لِمَـا أَنزَلْـتَ إِلَـيَّ مِـنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِـي عَلَى اسْـتِحْيَاءٍ قَالَـتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُـوكَ لِيَجْزِيَـكَ أَجْـرَ مَـا سَـقَيْتَ لَنَـا فَلَمَّا جَـاءَهُ وَقَـصَّ عَلَيْهِ الْقَصَـصَ قَالَ لَا تَخَـفْ نَجَوْتَ مِـنَ الْقَـوْمِ الظَّالِمِيـنَ قَالَـتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْـتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْـتَأْجَرْتَ الْقَـوِيُّ الْأَمِينُ « (سـورة القصص ٢٤-٢٦).

وقولـه : (قالـت إحداهمـا يـا أبـت اسـتأجره إن خير من اسـتأجرت القوي الأميـن) أي : قالـت إحـدى ابنتـي هـذا الرجـل . قيـل : هي التـي ذهبت وراء موسـى ، عليه السـلام ، قالت لأبيهـا : (يـا أبـت اسـتأجره) أي : لرعية هـذه الغنم (٢١).

فالمـرأة التـي قالـت لأبيها: { يا أبت اسـتأجره} إسـتخدمت فراسـتها بلغة العـرب وبالتعبير العلمـي (الحاسـة السادسـة). وفـي هـذا سـيميائية عاليـة دلت على إعطاء إشـارة الـى أبيها بأنهـا أحبتـه مـن أول نظرة واستوسـمت به رجولـة قوية وشـهامة عالية.

الخاتمة وأبرز نتائج البحث

وخيـر مـا نختتـم بـه بحثنـا هـذا.. أن الحمـد لله رب العامين والشـكر له علـى نعمه كلها وخاصـة نعمـة التدبـر فـي القـرآن الكريم الـذي لا تنقضـي غرائبه ولا تفنـى عجائبه.

وبعد..

أن الفكـرة الأساسـية التـي خرجنـا بهـا بعـد الإنتهـاء مـن هذا البحـث هـي أن التواصل الإنسـاني لا يتوقـف عنـد حـدود الكلمـات المنطوقـة، بـل يتعدى ذلك ليشـمل حركات الجسـم وأعضائـه، كالوجـه والعين والسـمع ، واللمس والتذوق و الإحسـاس والهيئـة العامة، فحركات الإنسان المتمثلة بالتقطيب والتجهم والتبسم وحركات الجوارح كلها، تمثل أدوات مساعدة توصل المعاني للآخرين وتؤثر فيهم بشـكل كبير، ولعل أهميتها تكمن أيضا في قدرتها على ترجمة ما يدور في خلجات النفس، وإظهاره على أعضاء الجسـم الخارجيـة, دونما سـيطرة من الإنسـان عليهـا فـي كثيـر من الأحيـان، فهي بذلك تشـكل عاملا مهما فـي عمليـة التواصل البشـري.

فبجملة الإشـارات والعلامات يتمكن الإنسـان من الإفصاح بغير مقام، بمعنى أنها لغات يتم التفاهم بها بين العباد لمعنى الحساب في الدنيا ، لما فهموا عن الله عز وجل الحساب في الآخرة.

ومن أهم نتائج هذه الدراسة

١. أن القرآن الكريم وظف الحواس في آياته المباركة بمعنى (سيميائي) وجعل العلامة وسيلة من الوسائل الإبلاغية عبر المنظومة القصدية للتواصل في تقنية إجرائية عالية يمكننا من خلالها فهم التفاعلات الإنسانية وتفسير النصوص. وقد تضمن مبحثين كان الأول منها: التعريف بمصطلحات البحث ، وضم الثاني: سيميائي حواس الإنسان في القرآن الكريم بين التنظير والتطبيق .

٢. إن لغة القرآن شاملة لوسائل التبليغ والاتصال، ومنها لغة الحواس وتراسلها.

٣. إن اللغة غير المنطوقة لا تقل أهمية عن اللغة المنطوقة، ولذلك لا ينبغي الاستغناء عنها، أو التقليل من أهميتها وهذا ما وجدنا جماليته وبلاغته في كتاب الله العزيز.

٤. إن الحواس وتعبيراتها السيميائية قادرة على مخاطبة العقل، وتحريك العواطف وتوصيل الرسالة الربانية إلى المخاطب بأسلوب سهل.

٥. إن حواس الإنسان وتراسلها من الأساليب التي استخدمها القرآن في سرد قصصه.

هوامش البحث

١- ينظر: لسان العرب مادة (سومة)

٢- ماهي السيميولوجيا ٨ .

٣- ينظر: تفسير القرآن ٥١٥/٧.

٤- ينظر: اللغة والحواس رؤية في التواصل ١٩.

٥- البيان والتبيين ٧٦/١.

٦- ينظر البيان والتبيين ٧٨/١.

٧- ينظر: بحار الأنوار ٣٠٤/٥٨ و الحاسة السادسة والقدرات الخارقة الكامنة ١٠١.

٨- ينظر: خلق الإنسان ٢١٩.

٩- ينظر تفسير الرازي ٢٨٢/٣٠.

١٠- ينظر:الحواس في القرآن الكريم

١١- ينظر:تفسير التحريروالتنوير١٥٢/١٨.

١٢- حاسة السمع بين القرآن والعلم الحديث ١.

١٣- تأملات في مشهد من سورة يوسف١.

١٤- ينظر:تفسير القرطبي ١٤/١٦.

١٥- ينظر: تفسيرالتحرير والتنوير٥/٩٠.

١٦- ينظر موضوعات علمية في القرآن الكريم ٤١١.

١٧- ينظر : أفعال الحواس في القرآن الكريم ١.

١٨- ينظر: أعضاء الحواس الإنسانية و دلالاتها في القرآن الكريم مجلد ١/٢١

١٩- ينظر الحاسة السادسة والفراسة ٢.

٢٠- ينظر: تفسير ابن كثير ٣٧٨/٤.

٢١- ينظر :تفسير الكشاف ٤٩١/٤.

مصادر البحث ومراجعه

- القرآن الكريم .

- أعضاء الحواس الإنسانية و دلالاتها في القرآن الكريم ، أ.م.د عبد الحسين عبد الله و أ.م.د. ناهدة محمد محمود، مجلة كلية التربية للبنات المجلد (٢١/١ (٢٠١٠).

- أفعال الحواس في القرآن الكريم ، د. أنسام خضير خليل , بغداد / دار الفراهيدي للنشر والتوزيع سنة ٢٠١٢.

- تأملات في مشهد من سورة يوسف ، الشيخ أ.د. ناصر بن سليمان العمر | ١٤٢٧/٩/٧ هـ.

- تفسير القرآن ابن كثير ، اسماعيل بن عنر بن كثير القرشي الدمشقي ، دار طيبة ، سنة النشر ١٤٢٢هـ_٢٠٠٢م.

- التفسير الكبير، الإمام فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل ، دار الكتب العلمية بيروت، سنة النشر: ٢٠٠٤م – ١٤٢٥ عدد الأجزاء: ستة عشر مجلداً.

- تفسير الكشاف ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، مكتبة العبيكان ، سنة النشر: ١٤١٨هـ.

- الحاسة السادسة والفراسة ، الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠١/٨/٣١.

- حاسة السمع بين القرآن والعلم الحديث ،(مقالة – موقع د. حسني حمدان الدسوقي حمامة) رابط الموضوع: ixzz٤IBtvriXc#/٧٣٨٠/٠/http://www.alukah.net/sharia

- الحواس في القرآن الكريم ، د. بليل عبدالكريم ، مقالات متعلقة ، تاريخ الإضافة:٢٠٠٩/٩/٧.

رابط الموضوع:

ixzz٤JfKenmFU#/٧٣٨٠/٠/http://www.alukah.net/sharia.

- ماهي السيميولوجيا ، توسان برنارد_ Bernard _ Toussanترجمة محمد نظيف ١٩٩٤م. مطبعة أفريقيا الشرق المغرب ط١. ١٩٩٨ م.

- موضوعات علمية في القرآن الكريم – الموضوع ٤١١ : الإعجاز العلمي .

- لسان السان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، دار صادر، سنة النشر: ٢٠٠٣م .الطبعة الثالث ، عدد الأجزاء: خمسة عشر جزءاً .